أكاديمية العراق الجديد

خالد مطلك

تنقسم الشعوب ثقافيا إلى نخب ومتعلمين وبسطاء وهامش مجتمعي يقع خارج التقسيمات الثلاثة.ويعرف عن العراق بأنه يضم اكبر نخبة رفيعة المستوى مقارنة بدول المنطقة غير أن الدكتاتور ترك أيضا اكبر نسبة (هامش) مقارنة بهذه الدول ويبدأ هذا الهامش من ما يسمى بالحثالة الطفيلية وينتهي بالمجرمين المتمرسين ،ولان منطق طبقة البسطاء هو النأي عن التأثير في مجريات الوقائع لذا سميت هذه الطبقة بالأغلبية الصامتة التي تترك الصراع يتشنج فقط بين القمة والقاع (النخبة والهامش)،، تنتصر الأمم التي تقترب حالها من حال العراق عندما يطغى منطق الأولى على منطق الثانية، بمعنى أن لا تنفعل النخب انفعالا شارعيا باتجاه الحثالة التي تلبس أحيانا لبوسات نخبوية تحت مسببات اجتماعية من بينها القبيلة والدين والثراء المفاجيء وغيرها، محاكمة الدكتاتور - على أخطائها الأوليةتأتي داخل منطق الرصانة النخبوية التي تعطي الحثالة درسا ضخما في معنى القانون، فالمتوقع من هذه المحكمة أتمنى أن لا تشغلنا طويلا- أن تصبح مدرسة مفتوحة وعلى الهواء يتخرج منها شعب يعي أخلاقيات قفص الاتهام يحدث ذلك فقط عندما نستثمر مركزية الحدث وجاذبيته ثقافيا لتأتي دروس المحكمة سلسة ومنضبطة في آن ليكن القضاة وطاقم المحكمة ممثلين للنخبة في هدوئها ورصانتها وعلميتها. انه الدرس الأول في أكاديمية العراق الجديد.

الوَضُوْء بالدم

أُهلَّ بالذبائح لوجه مَنْ : ابن درهم وجونسون وكي مون؟

رشيد الخيُون

جونسون

محمد عمارة

يجول شبحُ الإرهاب في نواحي العراق كافة، يفوق خطبه التصور والذاكرة، وقد لا نجد في التاريخ، رغم بشاعة العذاب الذي لبسَ أيامه ولياليه، مثيلاً لما يحصل من قتل جماعي وجنون دموي منفلت العقال. نعم نحر خالد بن عبد الله القسري الجعد بن درهم، بسبب قولة كلامية، يوم عيد الأضحى، بعد أن قال لمن حوله من المصلين صلاة العيد: (أنصرفوا تقبل الله منا ومنكم، فإني أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم) (مختصر تاريخ ابن عساكر). ويضيف ابن النديم بقوله: (جعله بدلاً من الأضحية) (الفهرست). لكن خالداً كان أميراً نفذ إرادة الخلافة، التي قتلته فيما بعد شر قتلة، وكان الجعد متكلماً، يدرك هول القول بخلق القرآن، وهول تهمة تكذيب تكليم الله لموسى بن عمران. ذبح القسري ابن درهم ذبح الشاة، وما يحيط عملية الذبح من بسملة وتكبير وصلوات.

أعاد مشهد ذبح الرهائن الأمريكية والكورية دماء الجعد بن درهم إلى المخيلة، وهي تلوث أنطاع (النطع جلد يوضع تحت رأس المذبوح حت لا تلوث دماؤه المكان) إرهابيي اليوم، ذبحوا ضحاياهم بدم بارد، لا توقفهم حرمة للأسير ولا مسالة ولا عزلة سلاح. ذبح الرهائن أيضاً ببسملة وتكبير وصلوات وإحتفالية يتناثر فيها الدم، تكفي وَضُوءاً للصلاة في محراب القسوة والعنف والتدمير. ومن البشاعة بمكان أن تقطع الرقاب بسكاكين عمياء، لا تميت حتى تريح المذبوح، وهو فن من فنون عذاب المذبوحين. أذكركم بعذاب الذبح والجرح مع تأخير الموت بما قاله عمرو بن سعد بن أبي وقاص، قائد جيش الأمويين بكربلاء، لذابح الإمام الحسين سنان بن أنس: (أنزل ويحك إلى الحسين فأرحه، فقال سنان لخولي بن يزيد احتز رأسه، فبادر خولي ليحتز رأسه فضعف وأرعد، فقال له سنان، وقيل شمر، فت الله في عضدك مالك ترعد، ونزل سنان، وقيل شمر، إليه فذبحه ثم احتز رأسه الشريف ... وأقبل القوم على سلبه... وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي، وقطع إصبعه مع الخاتم). والذين سلبوا الحسين لم يحتاجوا لثياب ومتاع بقدر ما كان تلبية للسنّة، فقد ورد عن أبي قتادة، السابق لا الحاضر، ما نصه (مَنْ قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سلبه) (صحيح البخاري، فرض الخمس).

وأذكركم بعذاب الذبح الذي تعرض له خليفة المسلمين الثالث عثمان بن عفان بأيدي عرب مسلمين، صحابة وأبناء صحابة وأتباع، بعد حرمان من الماء، رغم أن البهائم لا تذبح إلا بعد ريها واشباعها. أنقل لكم ما فعله السلف، المعبود اليوم، بعثمان بن عفان: (كان أول مَن دخل الدار عليه محمد بن أبي بكر (الصديّق) فأخذ بلحيته، فقال: دعها يا بن أخي، والله لقد كان أبوك يُكرمها، فاستحيا وخرج، ثم دخل عليه رُمان بن سرحان، رجل أزرق قصير محدود، عداده في مراد، وهو من ذي اصبح، معه خنجر فاستقبله به، وقال: على أي دين أنت يا نعثل (لقب لقبته به أم المؤمنين عائشة)، فقال عثمان: لست بنعثل، ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما أنا من المشركين، قال: كذبت، وضربه على صدغه الأيسر، فقتله فخرّ، وادخلته امرأته نائلة بينهما وبين ثيابها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيّف مُصلتاً، فقال: والله لأقطعنّ أنفه، فعالج المرأة، فكشفت عن ذراعيها، وقبضت على السيّف، فقطع إبهامها، فقالت لغلام لعثمان، يقال له رباح ومعه سيّف عثمان: أعَيّ على هذا وأخرجه عني، فضربه الغلام بالسيّف فقتله، وبقي عثمان، رضي الله عنه، مطروحاً إلى الليل، فحمله رجال على بابٍ ليدفنوه، فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه، فوجدوا قبراً قد كان حُفر لغيره، فدفنوه فيه) (ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب). أترون أن المدينة كانت فارغةً من الصحابة، فسكتوا حتى حزّ رأس عثمان بن عفان، أم كانت على دين غير دين الإسلام أو قوم غير الأنصار والمهاجرين، وقد أفرغها عمر بن الخطاب من اليهود والنصارى؟

الذبح هو الذبح أباحه السلف وتمثله الخلف، وبهذه الروحية ذبح الشبان الشيعة والكرد بالفلوجة، وذبحت عميدة كلية الحقوق وزوجها، وذبح الرهينة الكوري وهو خير من ذابحيه ألف مرة، لأنه وصحبه أتوا لمداواة جرح العراقيين بينما أتى هؤلاء الملثمون لقتلهم، وحملهم على هجرة بلادهم لتكون إمارة بعد فقد فردوسهم بافغانستان، ليعيدوا لهم مجد المقابر الجماعية والمقاصل اليدوية. هذا الكوري أشرف وأنبل من هؤلاء مثلما الحسين بن علي أشرف من ابن الصحابي سعد بن أبي وقاص، ومثلما الشيخ محمود طه أشرف من حسن الترابي وأنبل وكان المحرض على قتله، ومثلما المقتول فرج فودة أشرف من المحرضين على قتله أمثال محمد عمارة ومحمد الغزالي. الكوري البوذي جاء يطبب جراحنا والزرقاوي المسلم جاء يجهز على بقية حشاشة فينا. الكوري جاء بترياق ينقينا من سموم البعثيين المتراكمة في أبداننا وتربتنا ومياهنا، وأمثال أبي حفص وأبي الحكم وسواهما جاءت تنشط السم فينا، وتبحث عن حفيد نبوة آخر تذبحه بكربلائنا.

مَن منكم لم يرَ بهيمة يؤتى بها للذبح، هل تخيلتم عذابها الصامت وهي تقدم إلى المنحر موثوقة بحبال، هل فاجأتكم عيناها المرعوبتان، ورغاؤها الأجش. تخيلوا عذاب المذبوحين من عراقيين وأجانب. أجانب عشنا بأرضهم نصلي صلاتنا ونصوم صيامنا، ويدفعون لنا مصروفات مساجدنا وحجنا، ورجال دين منا يكذبون ويزيفون قوائم المصروفات، ويبيحون سرقة المحال التجارية، ويرون مدن أوروبا ديار حرب لا هجرة.

أديان وأعراف أرعبتها هذه المشاهد فتركت إيذاء الأنعام، كيف تذبح ما يدر لبناً ويفرُ ناعوراً ويحرث أرضاً. أما أعرافنا فلها رأي بذبح الإنسان ناهيك عن الحيوان وإيذائه، أي يذبح مَنْ أرتد عن الدين وخالف جماعة، وشتم سلطاناً، واعتقد اعتقاداً تاماً! نحن في مقدمة عوالم القسوة إن كانت تميزها عوال ودرجات، نمارس الدين بالعنف والعاطفة والحب بالعنف، والسياسة بالعنف، ونتبادل العتاب بالعنف، ومع ذلك نعتقد أننا خير أمة أخرجت للناس، ونعتقد أن أخلاقنا مثالية، وعاداتنا أرقى ما وصلته البشرية!

يُذكر ذبح الرهائن الآمنين وجعل رؤوسهم المقطوعة فوق ظهورهم بدكاكين الجزارين في الدولة القرمطية بالبحرين، شاهد الرحالة ناصر خسرو (القرن الخامس الهجري) ذبائح الأنعام فوق كل منها رأسها، حتى يعرف المشتري ماذا يشتري، لحم أباعر أم أبقار أم أغنام، وهكذا وضع رأس الأمريكي بالرياض فوق ظهره لتعرف جثته.

لفصل الرؤوس عن أجسادها تاريخ (مجيد) في حضارتنا، بل وبدار الخلافة كانت هناك دائرة أو خزانة تعرف بخزانة الرؤوس. الرؤوس التي يؤتى بها شواهد على الانتصارات. فإن حولت أوروبا مقاصل تاريخها إلى متاحف تثير في الحاضرين كراهية العودة إلى الوراء فنحن نعود مهرولين إلى خزانة رؤوس دار خلافتنا، ونحاول بعث فُرق حاملي الرؤوس العثمانية من سنجار الأيزيديين إلى استانبول، واحدة منها حملت ثلاثمائة رأس أيزيدي.

جماعات الإرهاب، التي ترى الدين الصحيح هو دينها والذبح لمَن عداها، أعادت إلينا ممارسة ذبح الأسرى ورمي الرأس في أحضان أهله، وإن سنّ ممارستها الصحابي وكاتب الوحي والخليفة الخامس معاوية بن أبي سفيان فإن السائرين على خطاها يحرصون على تصوير مشهد الذبح وبثه عبر قنوات تلفزيونية متبرعة لخدمتهم، وعبر شبكات الأنترنيت، ولو أمتلك معاوية هذه الحداثة لما رمى الرؤوس في أحضان الزوجات، أو الآباء أو الأمهات بل بثها أفلاماً من قنوات الشر والإرهاب.

أذكركم بشيء من أخبار هذه الممارسة: قتل معاوية عمرو بن الحمق الخزاعي، فرفع رأسه على الرمح من الموصل حتى دمشق، وكانت زوجته محبوسة رهينة، فرموا رأس زوجها في حجرها (تاريخ اليعقوبي)، وقيل كان معاوية (أول مَن حبس النساء بجرائر الرجال). وذبح الإمام الحسين بن علي، والسبعون من آله وصحبه، وسيرت رؤوسهم مرفوعة على أسنة الرماح، أمام عيون النساء والأطفال، وما زال مكان دفن الرؤوس محل اختلاف بين الأتباع، فقد دفنت الأجساد بكربلاء وسيرت الرؤوس إلى الشام، وما مناسبة عودتها أو مردها إلا حيلة أحتالها المحبون، لستر عورة التاريخ وكأن لسان الحال يقول: ماذا تقول فينا الأمم وقد دفنا ابن بنت نبينا بلا رأس؟ فالذين نحروا رأس الحسين كانوا أبناء صحابة، والمشهد أخرج أمام أنظار صحابة أيضاً.

ومما جمعه عبود الشالجي في (موسوعة العذاب) أن رمى هشام بن عبد الملك رأس الإمام زيد بن علي في حِجر والدته، وكم هي المحنة عظيمة أن تتلقف أمّ رأس ولدها يتدرج فاغر الفم مدمى؟ ورمي رأس مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، في حجر ابنته، ورمى أبو جعفر المنصور رأس إبراهيم أخي محمد النفس الزكية في حجر والده عبد الله بن الحسن وهو مسجون في مطبقه، ورمي رأس المعتز بالله في حجر جاريته، ورمي رأس ابن الفرات في حجر والده الوزير قبيل ضرب عنق الأخير، وذبح القائد علي بن بيلق ورمي رأسه في حجر والده، وبعد ذبح الأب أُخذ الرأسان إلى مطلوب آخر، فبعد فزعه بهما ذبح ذبح الشاة أمام عيني القاهر بالله خليفة المسلمين وأمير المؤمنين. والأنكى من هذا أن يذبح الابن ويطعم من لحمه الأب، أو يُقطع لحم المطلوب وهو حي ويدس في فمه، وهكذا دار دولاب العذاب وعظم الخطب إلى زمان يحاول فيه ابن لادن اقناعنا بأمارة عادلة يمنع فيها صوت المرأة وشفرة الحلاقة ولبس ربطة العنق ويحرم على الأطفال اللهو بطائرة الورق.

فهل نرجو ممَن تسمى بتلك الاسماء وتكنى بكناها، من أبي حفص إلى أبي الحكم، غير عودة تلك المشاهد المخزية؟ يمارسونها وهم طرائد فكيف لو صفت لهم الدنيا وأصبحوا ولاة أمر؟

التحالف بين البعثيين وجماعة الإرهاب الديني، مبني على الإخلاص لعروبة الغزو والقهر لا الفكر والمكارم، وعلى إسلامية القتل لا تسامح أبي حنيفة ولا إنصاف علي بن أبي طالب ولا فلسفة ابن سينا، فليس هناك حلف أقدس من حلف أصحاب ثرامات لحوم البشر والقبور الجماعية مع ناسخي آيات المحبة والوئام الاجتماعي بآية (السيف) (التوبة ٥). لقد اندفع الاثنان إلى الذبح والعذاب والتدمير بشدة. وما يزيد تحالف أقطاب العنف والقتل قداسةً أن الطرفين من حواريي أمريكا السابقين، أوصلت الطرف الأول إلى الحكم لفترتين وأوصلت الطرف الآخر إلى نضجه الإرهابي عبر ممر خيبر على حدود أفغانستان.

وإيغالاً بالمشهد الدموي كتب البعثيون آي القرآن بوشلة من دم أمينهم صدام حسين، الملوث بأدران التاريخ، رغم أنهم يدركون تماماً أن الدم ثاني الثلاثة المحرمات حكماً ولفظاً في الإسلام. لكن مَن يحرق القرآن ليتهم به خصمه هل تراه يتردد في جعل الدم حبراً له؟ جاء في القرآن: (إنما حرَمَ عليكم الميتة والدَم ولحم الخنزير)، و(قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير). كانت جرأة البعثيين على كتابة القرآن بالدم، المحرم أكله وشربه ولمسه اليابس منه والمائع، رسالة إلى العراقيين تقول: إن المتوضّأ هو نحوركم والوَضُوء هو دماؤكم، فما أنتم فاعلون؟ وتقول: أنتم ماشيتنا وطريدتنا في سريتنا وعلانتينا، سواء كان ذلك في حلفنا (المقدس) مع أمريكا أو في حلفنا (المقدس) مع الذئاب الهائجة.

دخلت عبارة (حلال الدم) قوية في تراثنا الفقهي، فكم من فتوى قتل نطق بها المفتون، وواجههم فيها الضحية مواجهة الحلاج (لما أتي بالحسين بن منصور ليصلب رأى الخشبة والمسامير ضحك كثيراً حتى دمعت عيناه)، إنها المأساة عظمت فتحولت إلى ملهاة، ولا يفوتنا القول (شر البلية ما يضحك). وعبارة مثل: (حلال الدم) و(معصوم الدم) أو(حرام الدم) إشارت إلى أحكام الموت والحياة. لو تعلمون مغزى تحريم الأديان لأكل وشرب الدم لعلمتم كم هي الشعوب التي حرمت عقوبة الإعدام قريبة من العدالة الإلهية ومؤمنة بالله، وحافظة لعهده.

لأن الدم هو الروح، وذبح الحيوان قرباناً هو إهداء دمه لوجه الله، هكذا اتفقت الأديان، والروح كما تعلمون (من أمر ربي) سر من أسراره تعالى. وإلا ما سر البسملة والتكبير وتوجيه رأس الحيوان إلى القبلة، إذا لم يكن الدم من حق الله فقط؟ إن مرجعية تحريم تناول الدم في الأديان لأنه (ماء الحياة) وسر إلهي في الأبدان، ورد في التوراة: (دم ذبائحك يراق على مذبح الرب إلهك واللحم تأكله)، و (أحذر أن تأكل الدم فإن الدم هو النفس، فلا تأكل النفس مع اللحم). فهل رأيتم قرباناً نباتاً أو جماداً، والسبب لأنه خال من الدم، الذي أجتهد الإنسان أن يكون من حق الله. فما بين الأنساب علاقة دماء لا لحوم وعظام، وإراقة دم أمام عتبة الدار الجديدة ترضي الرب كما يزعمون، فكم هي صعبة معادلة الدماء حتى يستسهل سفكها الملثمون.

كانت حكمة تنقية الذبيحة من الدم، يعني خلوها من بقية الروح التي هي لله لا لغيره، أما الإنسان فله اللحم والعظم وما بينهما من شحم وغضاريف. وقداسة الدم لا دنسه هي سر تحريمه، هذا في الحيوان فكيف بدم الإنسان؟ هل سيقبله الله قرباناً من أيادي ملثمين متأبطين شراً؟ هل عين الله دين خليفته على الأرض حتى يذبح ويقدم دم غير المسلم قرباناً، وهل عينه ستياً كي يُجاز ذبح الشيعي، وهل عينه حنبلياً سلفياً كي يذبح بقية أهل المسلمين؟ هل تريدون اقناعنا أن الله خلق الخلق لتذبحوهم أنتم؟ سؤال أقدمه للجزارين: هل أفرغتم أجساد ذبائحكم من الدماء، وهل وجهتم نحورهم إلى القبلة، أما تكبيراتكم وبسملتكم وصلواتكم فقد سمعناها، إنه الذبح الحلال والجنة بانتظاركم.

يا أمة مذبوحة بجهلها، والله لو خرج النبي محمد بن عبد الله اليوم وسمح للمستأمن والمعصوم الدم أن يصلي بصلاته في مسجده، مثلما فعل مع نصارى نجران، وصرخ فيكم قائلاً: (لا إكراه في الدين) لسمتموه عذاب قريش وثقيف. والله لو خرج اليوم عمر بن الخطاب ولامكم على إيذاء أهل الكتاب، مثلما فعل مع أحد عماله، لشهرتم بوجهه خنجر أبي لؤلؤة وقتلتموه، والله لو خرج اليوم علي بن أبي طالب وصرخ فيكم قائلاً: البشر (أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) لأعدتم فعلة عبد الرحمن بن ملجم فيه وقتلتموه. لا سنّة تتبعون غير سنّة خالد بن الوليد بابن نويرة، وسنّة معاوية بن أبي سفيان في حجر بن عدي، وسنّة الحجاج بن يوسف الثقفي في سعيد بن جبير، وسنّة لا مثيل لها في القسوة، أحياها أحد الفقهاء في مذهبه تقول: (لو وجدَ مضطراً آدمياً غير معصوم كالحربي والمرتد فله قتله والأكل منه عند الشافعية، وبه قال القاضي من الحنابلة، واحتجوا بأنه لا حرمة له، فهو بمنزلة السباع والله تعالى أعلم) (الشنقيطي، اضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن). نعم الله تعالى أعلم، وهو أعلم من الشنقيطي بمروءة الإمام الشافعي وعفة الإمام أحمد بن حنبل وزهده. لقد مات الأفارقة والهنود جوعاً ولم يحتاجوا إلى فتوى تجيز لهم أكل لحوم البشر! أيحسب تابعو سنّة المذكورين كم يؤذون الدين بتقديم ضحيتهم، كما هو الذبيح الكوري بان كي مون والذبيح الأمريكي بول جونسون، وخلفهم عارضة كتبت عليها الشهادتان؟ أم أنهم يؤسسون لدين آخر، حسب مقاسات فقهائهم وأمرائهم؟

الكمـــــين

احمد خلف

انتزعوني من فراشي بالقوة المتعمدة، ازاحوني عن سريري لتخليص الطائر المذعور من تصميمي على افنانه وخنقه، تعجبت اشد العجب حين رأيت افراد اسرتي ينقضون علىّ، متهالكين، ومندفعين لازاحتي عن الطائر الهلع، قلت: يا لحيرتي وعجبي مما يجري معي، تفصدت قطرات العرق على جبيني، كانت خيبتي ممضة الوجع مما آلت اليه الامور مع رجل مثلي امضى اكثر من ثلاثين عاماً في خدمة جيش عرمرم تساقطت اغصانه بين ليلة وضحاها، والان تبين كم كانت تلك الاعوام خالية من معنى.

كيف هيئ لهم ان يتجرأوا على الوقوف بوجهي، كأني خصم استعدوا للاطاحة به عاجلا ام آجلا (وبإصرار) كنت الوذ بالفرار من نفسي غير متيقن من مصيري معهم. كانوا، يحدقون في ما حولهم، ينفثون الزفير لاهثين، وسمات الغضب بادية على وجوههم، من رجل لم يتعط من حياته.. تلقى جسدي جدار الغرفة من الداخل وانا انظر الى الجميع من حولي، ملهوفاً، كي القي عليهم وابلاً من عبارات التأنيب، لكني فتحت فمي متعجباً، فاغراً إياه امام المشهد كله، وقد التموا حول الطاووس محوطاً بايديهم، وعيناه تسددان الي نظرات مستريبة لا تخلو من جزع، ها هو يلوذ بزوجتي في محاولة مستميتة للتخلص من حالة الرعب، التي لازمته منذ حاولت الاجهاز عليه وهو يرتعش فزعاً اذ ادرك نيتي في القضاء عليه وليس طرده فحسب، كانت الزوجة اول من تلقته بالرعاية والاهتمام، بدت في ثوبها الشفاف، كأنها امرأة اخرى من الصعب التعرف عليها او تذكر صورتها، تلك الصورة التي طوقتني بها ذات يوم بالحنان والود، ترى هل يستطيع رجل مثلي ان يحسن التذكر، امضى أكثر من ثلاثين عاماً في تأدية واجبات لم تعد الان تثقل عليه، الا في التذكر الدائم، ادركت تماماً، ان الذاكرة هي التي تدفع الثمن دائماً، تسيل على صفحة الزمن وتتلف نفسها في التذكير المستمر، تلك اللحظة بالذات هيئ اليّ اني اشيخ تماماً، اشيخ واتعب من ذاكرتي المستعرة، اذ لم تعد بي قوة كافية لتلقين الآخرين دروساً وعبراً، ولما حدقت بالبنت الكبرى رأيت دموعاً تسيل على الخدين ويداً حانية تنتزع الصبر من جذوره لتطبب الطائر وتربت عليه ترفقاً، كانت الصدمة باهظة الثمن:

- لم تعد تصلح لشيء يا رجل.

كان صوت الزوجة هذا، مليئاً بالتحدي الجارف، تحدّ لا مناص من الكفاح ضده، وقلت مع نفسي: آه يا للخيانة العظمى، يا للتردي المشين، لو كنت جاداً في التخلص منه، لأرتديت بدلتي العسكرية ودعوت جنودي لاتخاذ المواقع المناسبة وحشدت قواتي للاطاحة بمجده وكبريائه، الم يكن يكفيه نصب كمين واحد لجندلته، اني ارسم صورة كافية لتدميره بعد الاطاحة التامة بافعاله الشائنة، فقد تبادلنا الكراهية والغضب من بعضينا على اتم وجه، انني لا انكر بغضي له، هو الذي يزدريني ويستهين بكل حركة او فعل اتي به، كنت اعلم ان حركة واحدة من قناص يكمن له في ليلة ليلاء، سوف ترديه قتيلاً وتتركه طعاماً سائغاً للكواسر والضواري في العراء، لكن اللحظة المواتية قد افلتت من يدي طيلة الوقت ذاك وانا الذي امضيت السنين الطول بنصب الكمائن في الخفاء للخصوم والاعداء اينما حطوا او رحلوا، كان نصب الكمائن، وزرع الالغام هوايتي وملاذي، بل سلواي في وقت الضيق او ساعة تحيط بي المحنة، انني اتذكر ذلك كله، لان التذكر شيمتي وبلواي، وها هي البلوى تتقدم مني وترسخ يوماً بعد يوم،.. كانت الزوجة قد اخذت الطائر بين ذراعيها العاريتين واندفعت مستنكرة ما جرى نحو غرفة البنت الكبرى، دفعت الطاووس برفق واغلقت الباب بعدها، التفتت الي، قالت بنبرة جد قاسية: ما جزاء من يرتكب حماقات بحق اسرته؟

صرخت بها ملتاعا: لم تعد هذه اسرتي انني غريب بينكم!.

نظرت الى الجميع من حولي وهي بينهم، كانوا يتبادلون النظرات مندهشين، غير أني تنبهت الى الولد يدير وجهه ناحية النافذة المطلة على حديقة البيت، هو الوحيد من يبعد نظرات العتاب عني، تعجبت منه كما أثار غضبي تحديقهم بي.

تقدمت البنت الكبرى مني:

- ما حاجتك للاساءة لنا؟

- من يسيء لمن يا بنت؟

جاءني صوت الزوجة مرتعداً: لقد اعترفت انك غريب بيننا.

- بالتأكيد قلت ذلك.

- وانك لم تعد رب الاسرة.

- آه، لا انكر ذلك.

- اذن؟

لا بد ان الطاووس سمع نثاراً من الكلمات تلك، رأيته يغادر الغرفة نحو ساحة البيت معلناً (بوقاحة) عن وجوده على نحو سافرٍ، متخطياً وقفتي.. تأمل الدار وحديقته وعبث ببعض الازهار وتشمم عطر بعضها الآخر، لا بد انه كان يحس بوجودي ارقبه عن كثب، وانفاسه تبعث رائحة كثيراً ما سببت لي صداعاً عاد ادراجه نحو الداخل، حين ارتفع صوت الزوجة: اذا لم يعجبك وجوده بيننا،الافضل ان تقرر البقاء.. او.. لكنها لم تكمل عبارتها شاهدته كيف يكشر عن ابتسامة وعيناه تداعبان فيضاً من سخرية...

- الا تصدق ان كل شيء تغير يا رجل؟

- الم يستول على الدار؟

رأيته يقف منتصباً في نهاية الممر المؤدي الى غرف الدار الاخرى، وقد تجاوز حدود غرفتي الخاصة.. تلك الاثناء جاء الولد، وهمس: (اني اشم رائحة لا يحتملها جمل) سمعت العبارة لكن الام لم تلتقط الكلمات، شجعته عن عمد. لقد ملأت تلك الرائحة الهواء من حولنا وسدت منافذ السبل الى راحة البال. قلت له: أليس كذلك يا بني؟.

استمرت الام في عدم الفهم مما يجري من حوار، نفضت كتفيها بحركة من لا يريد ان يسمع شيئاً، ذهبت الى المطبخ واعدت المائدة، افردت له مقعداً بيننا، عاد الولد الى الهمس من جديد: (لقد رايته يعبث ببدلتك العسكرية) لم استطع ان اقول شيئاً او افعل شيئاً، كان شمل العائلة قد التم بمجيء البنت الكبرى مصحوبة بطائرها زاهي الالوان. من ذا الذي أوصله الى بدلتي العسكرية، يا للهول، ما الذي يجب ان افعله الان؟

اشارت الام على ابنتها ان تدع طاووسها يتخذ جلسته بينهن في المقعد الوسط، ليس وجوده وحده يغيظني، بل حركاته داخل الدار، نظراته وتأمله للاشياء من حوله، كأنه يستطلع او يبيت امراً من العسير عليّ ادراك كنهه، بدا مزهواً بجلسته بين الزوجة والبنت.

هذه المرة الاولى التي يعلو فيها صوت الولد في عبارات متسارعة:

- يا للرائحة الغريبة.

قالت البنت الصغرى: انا ايضاً اشم رائحة لا تطاق.

قلت: انها رائحته تنتشر حول المائدة.

عندئذ ساد صمت قصير، واصل تناوله لطعامه، كان يأكل بشراهة وتلذذ، اما انا فقد غادرت المائدة وتركتهم يغصون في سيل من النظرات الحائرة، ترى هل انا افضل حالاً مما كنت عليه من قبل؟ من أين جاء واي شرير لعين اتى به له ليحل في الدار ويلتهم وجودي؟ كان انسحابي من المائدة اعلاناً صريحاً عن رفضي لحضوره.. بعد لحظات تبعني الولد: (اني اشاركك رفضه، لكني اخشى من سطوة امي والبنتين، لا ادري ما ينبغي لي القيام به من عمل). ثم لما رآني أتأمله صامتاً، عاد ثانية الى القول: (وانت ايضاً تأخرت في اتخاذ ما يلزم لطرده، اما كان عليك تحديه منذ اليوم الاول لوجوده في الدار؟ ألم يكن من الممكن التخلص منه، لكنك تهاونت كثيراً. ان رائحته لا تطاق ولا انكر عليك انه غالباً، ما اراه يتغوط اسفل اسرتنا، هناك في الزوايا التي لا تراها العين. قاطعت الولد وانا لا اخفي عليه سروري بمشاركته لي الهم؛

- لننصب له كميناً ونرديه فيه.

- ليس الآن، لا بد من رحيله.

- بل الليلة، لندفنه في حديقة البيت.

- بل لنواجهه مباشرة.

لم يفه بعدها بشيء ولم يقترح عليّ صيغة للتخلص من ضيفنا غير المرغوب فيه، ترك عينيه تحدقان بيّ، كأنه يتأمل شخصاً غريباً عنه، ترى هل احرجته بطلبي؟ تلك اللحظة جاءت الزوجة تتبعها البنتان. نظروا الينا كأننا نوشك على الاتيان بفعل مشين.

- أي شيء تتدبران امره؟

- ....!

- سنتبرأ منك اذا اتيت بما لا يليق بأسرة محترمة.

ما عادت عبارات التهديد لتؤثر بي. فقد امتلأ سمعي بها كثيراً.. لمحته عبر زاوية العين يسير باتجاه غرفة البنت الكبرى، متبختراً، مزهواً، يرفل بهدوء تام، لا انكر انه كان يتمتع بحضور قوي بينهن، وقد تمكن من شد انتباه الاسرة الى حركته وافعاله، بل كاد يبزني في ذلك الحضور لو لا ممانعتي في التسليم له:

- ماذا كنت تقول للولد؟

- لا شيء، لا شيء يا سيدتي.

ارتسم الوجوم على ملامحها،

- يا الله، اصبحت سيدتك ولست زوجتك، بسبب طائر بريء.

- يا للطائر اللعين.

- بل اصبح سلوانا جميعاً.

- بل لا خلاص له مني.

لوحت لها بيدي في الهواء، استدرت باتجاه غرفتي الخاصة، ادركت كم اغضبتها وقد استشاطت من عبارتي الاخيرة.. اصبحت في نظري، هي والطاووس في كفة واحدة، لم أشأ ان اجعلها كذلك، بل هي التي اختارت الحل الانسب لها.